الجهد ، وموصول السعى ؟

أعهدتِ منى وقت فراغ ، وساعة لهو ؟

أساحر أنا ، قادر على الغداة والعشى ، أصرف الوقت فيهما ، بإمرة منى وسلطان ، إن أشرت إليه ، أو لوحت توقف ، كما أهوى ، لينفسح لى مجال عبث ومجون ؟

لقد امتد غيابك شهرين طويلين ، لم يهدأ « للهاتف » فيهما صليل وعويل ، وما الصوت الذى يتردد منه إلا صوت صاحبتك ، التى تنزل من نفسك منزلة الصديق المؤتمن الوفى .

أكانت ترتصد لى ، وتموه علىّ ، لتضعنى موضع اختبار قاس ، وامتحان عصيب . . . ؟

أكانت تتشمم ريح الخيانة ، لتقدم لك كشف الحساب الختامى ؟

أهذه وصيتك إليها قبل المغيب . . . ؟

أم كان ذلك صنيعاً عمدتِ إليه لأمر تخفينه . . . ؟

أأرادت أن تستدرجى ، حتى أجد عندها الصدر الحنون ساعة يعوزنى إلى الراحة سبيل . . . ؟

الافتراض الأول أحق بالقبول والتصديق .

ليطمئن قلبك ولتهدأ نفسك !

لقد أنفذتْ صديقتك ما طلب منها أن تؤديه ، بذمة وأمانة وامتثال .

كانت رائعة فى الدور الذى قامت به .

أتجحدين إلى هذا المدى حدة ذكائى وشدة فطنتى ؟

أما كان الأجدر بك أن تدبرى حيلة أوفر التواء ، وأكثر تعقيداً ، تموهين بها علىّ ؟

أحسبتنى ساذج الفهم ، قاصر الإدراك ، فقيراً إلى دقة حس ، ولطف إلهام ؟

يقينى : أن صديقتك ما كانت إلا الطعم الذى أدليته لى من شصك العتى ، تبغين به التعرف والتكشف والاستخبار .

أتنكرين خطر تلك التجربة ، وما عسى أن ينجم عنها من نزق وجماح ؟

دعينا نتخيل — جدلا — أن الفريسه لم تفطن إلى ما بيتتْ لها الخطة من تدبير طائش غرير . . .

هبى أن الفريسة وقعت فى الشرك الذى نصب لها ، صريعة هوى مشبوب ، لا حيلة لها فيه . . . !

ولنطلق لخيالنا العنان ، نفترض أن الصائد استهواه ساعة الشواء رائحة الصيد الشهى ، فانثنى يقضم منه قضمات مريئة هنيئة يستمتع بها ويستلذ .

أينا خليق بالملام ومر العتاب ؟

وإنى لمتطلع إليك ، ومؤتنس بك فى محضرك ومغيبك على السواء !

فى الصيف نتأذى بحر الشمس ، فإن توارت عنا بالحجاب فى غمائم الشتاء الدكناء ، ترقبنا منها الشعاع واستجدينا الدفء !

أغاب عنك أنك حـوّائى . . . ؟

من أضلاعى خلقت ، فما بغيرك يستتم لى خلق ، ولا يكتمل كيان .

عودى إلى .

عودى ، لألتقى فى سمائك بالحرية ، والانطلاق .

عودى ، أراجع معك العيش البهى .

عودى . . . عودى ، فقد انكشفت لى حقيقة أمرى ، واستبان لعينى السر الخفى .

* * *

كانت الزوجة جالسة عن كثب من جهاز التسجيل ، تستمتع بنبرات ذلك الاعتراف المستفيض ، يترنم به الشريط فى هدوء وأناة ، وقد افتر ثغرها عن ابتسامة الرضا ، وتبلورت فى عينيها المكحولتين دموع النشوة والزهو والاعتزاز .

وما يكاد الشريط الناطق يتم دورته ، وينقطع عن إنشاده الحلو ، حتى تستأنف الزوجة الاستماع إليه بشوق جديد .